معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

Submission date: 22/1/2019
Accepted date: 4/5/2019

جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته عند ابن عاشور
من خلال تفسيره التحرير والتنوير: دراسة موضوعية

THE QURANIC ASPECTS OF HUMAN DEVELOPMENT IN TAFSIR *AL-TAHRIR WA AL-TANWIR* OF IBN ASHUR: A THEMATIC STUDY

Mohamed Amine Hocini
Department of Al-Quran and Al-Hadith, Academi of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia
E-mail: amine-ha@hotmail.com

Fouad Bounama
Department of Hadith and its sciences, Al-Madinah International University, Malaysia
E-mail: fouad.bounama@mediu.edu.my

Mustaffa Abdullah
Department of Al-Quran and Al-Hadith, Academi of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia
E-mail: mustaffa@um.edu.my

Hacène Salmi
Department of Al-Quran and Al-Hadith, Academi of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia
E-mail: hassen-tero@hotmail.fr

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز وبيان جوانب بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير. تتجلى مشكلة البحث في أن جوانب البناء القرآني للإنسان كما وردت في تفسير التحرير والتنوير تحتاج إلى استنباط واستكشاف وبيان؛ وذلك بتحديد عددها ومراتبها والآليات التي يعتمدها المنهج القرآني في بنائها. البحث مهم لأنه يتطرق إلى موضوع بناء الإنسان في القرآن الكريم من نظرة أحد أبرز علماء التفسير في العصر الحديث وهو الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ولا يخفى أن الإحاطة بجوانب بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم مهم جدا لأنه يساهم بشكل فعال في بناء الإنسان وحضارته وعمرانه وتأهيله للقيام بالمهمة الأسياسية التي أنيطت به في هذا الوجود. لتحقيق أهداف البحث، اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي بغرض تتبع وجمع النصوص التي تطرقت إلى جوانب بناء الإنسان وآلياته ووسائله في تفسير التحرير والتنوير، وزيادة على ذلك، اعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي لتحليل النصوص المجموعة وملاحظة السياق الذي وردت فيه واستنباط جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته على جميع المستويات. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بحثه هذا: أن جوانب البناء الإنساني في القرآني الكريم أربعة: العقديُّ والروحيُّ والخلقيُّ والعلميُّ، ولكلّ جانبٍ من الجوانب ومجالٍ من المجالات آلياتٌ ووسائلُ تخدمه وتؤسسه، وتتميز هذه الآليات والوسائل بكونها تتناسب مع طبيعة الإنسان وتركيبته، كما الحال في الجانب العقدي حيث يعتمد المنهج القرآني على مخاطبة العقل والفطري، وفي خدمة الجانب الروحي يعتمد على العبادات كالصلاة والزكاة والأذكار.

الكلمات المفتاحية: جوانب، مجالات، آليات، بناء الإنسان، التحرير والتنوير، ابن عاشور.

ABSTRACT

This research aims to analyze the Quranic aspects and mechanisms of human development according to *Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir* of Ibn Ashur. The Quranic aspects of human being development as mentioned in the *Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir* need to be identified and are worth highlighting, in terms of its types, priority and mechanisms. This will include a discovery and identification of the Quranic aspects of human being development in the light of *Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir*, which is essential in qualifying the human being to fulfill the duties he is assigned with. This research employs inductive and analytical approaches. This study found that the Quranic aspects of human development according to Ibn Ashur in his Tafsir *al-Tahrir wa al-Tanwir* consist of four aspects, namely: faith, spiritual, ethical and intellectual. However, Ibn Ashur has neglected the physical aspect of human development. These four aspects are integrated and connected with one to another. In addition, the study shows that every aspect is developed through specific mechanisms correlated to the various religious practices like prayer (Salat), Zakat and many others.

Keywords: Aspects, mechanisms, human development, *al-Tahrir wa al-Tanwir*, Ibn Ashur.

1. المقدمة

يعتبر بناء الإنسان والحضارة مقصد القرآن الكريم، وهذا الذي صرّح به ابن عاشور (2000) في تفسيره، فذكر أن المقصد الأعلى من إنزال القرآن الكريم هو: "صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية"، فالله عزَّ وجلَّ أنزل القرآن الكريم لصلاح شؤون الناس كلّها، فوظيفة القرآن الكريم ودوره هو هدي الأمة وإصلاحها أفرادا وجماعات. ويمكن ملاحظة أن المقصد الأعلى للقرآن الكريم –كما أشار إليه ابن عاشور– يتكون من ثلاثة مستويات أو يمر عبر ثلاث مراحل: المستوى الفردي فالجماعي فالعمراني، وهذه المستويات قوية الصلة ببعضها. والذي يهمنا في هذا البحث هو نظرة ابن عاشور إلى المستوى الأول والمتمثل في بناء الفرد لأنه أساس كلّ بناء وهو صانع كلّ نهضة، فبصلاحه تصلح الأمم وتنهض وبفساده تفسد وتسقط، فلذلك سعى المنهج القرآني أولا إلى بناء الإنسان وتزويده بما فيه كماله، ويشمل ذلك جميع الجوانب والمجالات من تنوير العقول بما يبثه من الاعتقاد الصحيح والأخلاق الكريمة وطرق التعامل بين الناس، والإرشاد إلى شتى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى النجاح والتحذير مما يهلك الإنسان ويرديه، وغيرها من الأمور والقضايا التي تندرج تحت بناء الإنسان الفرد والمجتمع. فبناء على ما سبق يتبين أن القرآن الكريم يهدف إلى

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بناء الإنسان في شتى الجوانب والمجالات ليصبح مؤهلا وقادرا على تأسيس حضارة شامخة وممارسة مهمة الاستخلاف. ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى بيان جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته عند ابن عاشور من خلال كتابه التحرير والتنوير.

2. الجانب العقدي.

يعتبر ابن عاشور(2000) العقيدة من أهم المهمات وأولى الأولويات في المنهج القرآني حال بنائه للإنسان وحضارته، وقد صرح بأن إصلاح الاعتقاد من المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم وكان أوَّلَ مقصد في الترتيب الذي أورده(Haya, 2011)[1]، وأشار إلى هذا المعنى في مواطن كثيرة أخرى، وفيما يلي عرض لنظرة ابن عاشور لبناء الجانب العقدي وإصلاحه عند الإنسان من المنظور القرآني:

أولا: تعريف العقيدة:

يرى ابن عاشور (2001) أن أكبر أصول الاعتقاد التي جاء بها القرآن الكريم وسعى إلى بثها بين الناس توحيد الله عزَّ وجلَّ، وإثبات ألوهيته، وبيان صفاته الكاملة والتامة، وتقرير عبودية خلقه جميعا، وإثبات بعثة الرسل وأنهم بشر وعباد اصطفاهم الله عزَّ وجلّ لحمل رسالته.

ثانيا: أهمية العقيدة:

يؤكد ابن عاشور (2001 & 2000) أنّ بناء الجانب العقدي وإصلاحه عند الإنسان يعتبر الخطوة الأولى التي ينطلق منها المنهج القرآني في عملية البناء، ويتجلى ذلك في آيات كثيرة توضح هذا المقصد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة، آية: 2]، فعملية البناء تستلزم في أولى خطواتها تطهير الإنسان وتزكيته من الرجز المعنوي الذي هو الشرك، وانصراف الإنسان عن عبادة غير الله تعالى، ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"(Al-Bukhari, 1987). فمن هنا تتبين أهمية العقيدة وصدارتها في المنظور القرآني لبناء الإنسان وحضارته[2].(Aminah, 1989).

---

[1] ذكر ابن عاشور أن أول مقصد من مقاصد القرآن الكريم هو إصلاحُ الجانب العقدي وتعليم العقيدة الصحيحة، وهذا يعتبر أعظم مدخل لإصلاح الناس وبنائهم البناء الصحيح، وذلك لما يترتب عليه من آثار مهمة وهي: تحرير النفس وحياطتها من الإذعان لما لم يقم له الدليل فتنبذ عادة التقليد الأعمى، وتطهير القلب مما يتلبس به من الأوهام والشبهات التي تقذفها العقائد المنحرفة كالإشراك والدهرية والتي تضره وتفسده.

[2] ويقول د. النجار في بيان أهمية العقيدة: " لا يمكن أن يحدث في حياة الأمة الإسلامية انتعاش معتبر... إلا بإصلاح عقدي يرشد تحمل الأمة لعقيدتها في النفوس من جديد موقع الدفع إلى العمل الصالح المعمر في الأرض المنمي للحياة" (Al-Najjar, 1995).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ثالثا: أولوية العقيدة في البناء

بعد بيان أهمية العقيدة ومكانتها يذكر ابن عاشور (2000) السبب الذي جعلها منطلق كلّ بناء وأصل كل صلاح، حتى إنه وصف صلاح الاعتقاد بأنه أم المصالح التي يترتب عليها صلاح الاجتماع. وذلك أنّ "إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل، إذ لا يشاق العقل إلى طلب الصالحات إلا إذا كان صالحا"، ويستشهد لهذا بالحديث الذي رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"(Al-Bukhari, 1987).

وليس ذلك فحسب، فإن ابن عاشور (2000) يؤكد حقيقة مهمة جدا، وهي أنّ الأفعال والأعمال هي انعكاس ما يعتقده الإنسان، فهو يعتبر أنّ الشرك الذي هو فساد في الاعتقاد وضلال في التصوُّرِ هو أصل الأفعال المذمومة، فإذا أراد الإنسان إصلاح أعماله فعليه نبذ الشرك أولا[3].

وقد أخذ المنهج القرآني هذه الحقيقة بعين الاعتبار لما لها من أثر بالغ وفعَّال في عملية البناء، فلذلك كان الجانب العقدي أول جانب شرع في بنائه وإصلاحه، كما كان أكثر جانب تعرض له وركز عليه وخصص له حيزا كبيرا من آياته، فإصلاح الاعتقاد هو مبدأ كل إصلاح، فلا يتصور أن يتمكن المنهج القرآني من بناء الفرد وإصلاحه في الجانب الروحي أو الخلقي أو على المستوى الجماعي إذا كانت عقيدته فاسدة وتصوراته منحرفة، أما إذا صلحت عقيدته واستقامت تصوراته فحينئذ فقط يمكن بناء بقية الجوانب وإصلاحها [4]. (Ibn Ashur, 2000).

ومن الأمثلة على كون إصلاح الاعتقاد شرط وأساس كل بناء ما ورد في موعظة لقمان عليه السلام لابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان، آية: 13]، حيث شرع لقمان في مخاطبته بتنبيهه إلى الجانب الأهم وهو الإقلاع عن الشرك بالله عزَّ وجلّ، أي التخلي "عن مبادئ الفساد والضلال"، فإذا تخلى عن ذلك فإنه يكون مهيأ للتزكية والكمال والبناء (Ibn Ashur, 2000).

---

[3] ومما يؤكد كون الأفعال والأقوال إنما هي آثار الاعتقاد ما قاله ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف، آية: 147، "والمراد بـ {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعتقدون، فأطلق على التكذيب بالآيات وبلقاء الآخرة فعل {يَعْمَلُونَ} لأن آثار الاعتقاد تظهر في أقوال المعتقد وأفعاله، وهي من أعماله".

[4] وفي معرض بيان الحيز الكبير الذي تشغله العقيدة في الخطاب القرآني يقول عبد الحميد مدكور: "لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من حديث عن العقيدة في جانب من جوانبها، وينطبق على ذلك السور المكية والمدنية، والسور القصار والطوال، وهي تتناول أمور العقيدة في صور متنوعة: تعريفا بها، أو عرضا للبراهين الدالة على صدقها، أو مناقشة المخالفين لها ، أو بيانا لما يترتب على التصديق بها أو التكذيب لها من جزاء". (Madkour, 2003).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فمن هنا يتبين أنّ العقيدة هي المحور الذي تدور عليه بقية الجوانب والمجالات والأساس الذي تقوم عليه، فصلاحها يعني صلاح بقية الجوانب، وفسادها يعني فسادها. وهذا يستلزم الشروع بها في عملية البناء وأي محاولة لبناء الإنسان وإصلاحه لا تتخذ العقيدة منطلقا لها تعتبر محاولة مكللة بالفشل لا محالة.

رابعا: ثمرات العقيدة:

لصلاح الجانب العقدي للإنسان ثمرات جليلة في واقعه فردا وجماعة، حيث إن في صلاحها فلاح الإنسان في العاجل والآجل، ففي الآجل باعتبارها سبب دخوله إلى الجنة ونيلها والظفر بها (Ibn Ashur, 2000). أما في العاجل فإن الإنسان سيتطهر من رجس العقائد الضالة والفاسدة ويتخلص من ثقل التصورات المنحرفة، ويصبح قابلا للبناء ومهيأ له، كما أنّ صلاح الاعتقاد يبعث الإنسان على فعل العمل الصالح، ويغرس فيه صفات جليلة كأصالة الرأي، في حين أنّ فساد الاعتقاد يكبل الإنسان ويمنعه من العمل الصالح ويحول دونه، لأنه "قاعدة اختلال التفكير وتضليل العقول"، إذ إن أصحاب العقائد المنحرفة يعيشون أوهاما ومخاوف واضطرابا تجعل نفوسهم خاسئة (Ibn Ashur, 2000 ; Ibn Ashur, 2001 & Qutub, 2013).

خامسا:

أشار ابن عاشور (2001) إلى أن إصلاح التفكير يندرج تحت إصلاح الجانب العقدي، وهو التفكير في القضايا المتعلقة بالحياة الدنيا والآخرة وما ينبغي سلوكه للفوز في الحياتين، وذلك ليجتنب الإنسان الوقوع في المهالك في كل من الحياة الدنيا وفي الآخرة.

سبق وذكرنا أنّ ابن عاشور (2001) يؤكد حقيقة أنَّ صلاح الأعمال وفسادها يجري على حسب تفكير الإنسان، ولذلك كان إصلاح تفكير الإنسان وبناؤه على أسس سوية من أهم مقاصد القرآن الكريم لأنه منطلق كل بناء، ويلاحظ هذا في الكم الهائل من الآيات القرآنية الكثيرة التي تدعو إلى النظر والتفكر والتعقل والعلم والتدبر والاعتبار.

ويرى ابن عاشور (2001) أنّ التفكير درجات ومراتب متفاوتة تختلف باختلاف أفهام الناس، إذ هم مراتب، ففيهم العالم والمتعلم والعامي وبين أفراد هذه الأصناف تفاوت غير أنهم مطالبون جميعا بصحة التفكير فيما يحتاجونه من الأعمال بحيث لا يقعون في الأغلاط والأخطاء، كلّ بحسب ما يوصله إليه علمه وفهمه وبالقدر الذي يستطيعه، ويطلب الإعانة في المقدار الذي لا يستطيعه ممن له القدرة على إرشاده فيما يحتاج إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل، آية: 43]، فهما حالتان إذن: حالة يستقلُّ فيها الإنسان بتفكيره وحالة يستعين فيها بمن يرشده، فإذا التزم الناس بهذا المسلك سلم تفكيرهم وكمل علمهم وسلموا من المزالق والأخطاء.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد أوصل ابن عاشور (2001) نواحي التفكير التي وردت في الإسلام إلى نواح ثمانية تعتبر أصول نجاح الإنسان فردا وجماعة في المجتمع والمتمثلة في :

التفكير في تلقي العقيدة، التفكير في تلقي الشريعة، التفكير في العبادة، التفكير لتحصيل النجاة في الحياة الآخرة، الحزم، التفكير في المعاملة، التفكير في الأحوال العامة للعالم، التفكير في مصادفة الحقيقة في العلوم.

ويذكر ابن عاشور (2001) أن تصحيح التفكير في هذه النواحي الثمانية التي تشمل الحياة العقلية والعلمية وفهم الدين فهما صحيحا هو ما قاد الأمة الإسلامية إلى المراتب العليا وجعلها تسود العالم، وإن تراجعها وتقهقرها له صلة بالإعراض عن هذا الأصل.

سادسا: آليات البناء:

يذكر ابن عاشور (2001 & 2000) أنّ العقيدة الإسلامية تميزت بميزة لم توجد في الأديان الصحيحة السابقة، وتتمثل هذه الميزة في الحرص على جعل العقيدة واضحة جلية، وبيان معانيها وحدودها، والحرص على تلقينها وإقامة دلائلها، ولذلك يلاحظ أنّ الإسلام كثير التعرض للعقيدة وشرحها، ومن أمثلة ذلك ما ورد في التحذير من الدجال حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ" (Al-Bukhari, 1987). وكان لهذا أثر طيب في عصمة المسلمين من الوقوع في الكثير من المزالق مثل الشرك والتعطيل وحقيقة التجسيم، في حين أنّ التعرض للعقيدة وبيانها في الرسالات السابقة كان موجزا، ولذلك وقعت تجاوزات في الأمم السابقة مثل ما حصل مع بني إسرائيل حيث إنهم عبدوا العجل وموسى عليه السلام بين ظهرانيهم.

وذكر ابن عاشور (2001) أنّ المنهج القرآني في إصلاحه للعقيدة والحفاظ عليها يسلك مسلكين عظيمين وهما، مسلك التفصيل، ومسلك التعليل. ويقوم مسلك التفصيل على ثلاثة أمور هي: "تمام الإيضاح لسائر المسلمين، وإعلان فضائح الضالين في العقيدة والإغلاظ عليهم، وقطع الطريق أمام الشرك وحسم مادته". ومن ذلك ما ورد في النهي عن اتخاذ التماثيل في البيوت والنهي عن اتخاذ القبور مساجد. أمّا التعليل فعن طريق حثّ العقول ودعوتها إلى النظر في أدلة وجود الله سبحانه وتعالى وصفاته، ومن مراتبه العليا الدعوة إلى النظر في النفس والذي يعتبر أصل الحكمة.

قال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس، آية: 101]، وقال تعالى:﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات، آية: 20، 21].

ومن الآليات التي يعتمدها المنهج القرآني في بناء العقيدة ما يلي:

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

- مخاطبة فطرة الإنسان إذ إن التعرف على أدلة الوحدانية وإدراكها مودع في فطرته إذا هو أعمل النظر فيها وأحسن التأمُّل وجرَّد نفسه من الموانع والعوارض التي تشوش عليها وتفسدها، لأن الضلال في الاعتقاد مرجعه إلى "فساد التأمل وسرعة الإيقان وعدم التمييز بين الدلائل الصائبة والدلائل المشابهة"، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف، آية: 172، 174] (Ibn Ashur, 2000 & Dhumairiyyah, 1432).
- مخاطبة عقل الإنسان ودعوته للتأمل في نفسه وما يحيط به من الموجودات والتي تدل دلالة واضحة على قضايا العقيدة، مثل قوله تعالى في مخاطبة المشركين:﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس، آية: 31] حيث إن في هذه الآية إبطالا للشرك وإثباتا لإلهية الله عزَّ وجلَّ، "فاحتج على ذلك بمواهب الرزق الذي به قوام الحياة، وبموهبة الحواس، وبنظام التناسل والتوالد الذي به بقاء الأنواع، وبتدبير نظام العالم وتقدير المقدرات، فهذه كلها مواهب من الله وهم كانوا يعلمون أن جميع ما ذكر لا يفعله إلا الله إذ لم يكونوا ينسبون إلى أصنامهم هذه الأمور، فلا جرم أن كان المختص بها هو مستحق الولاية والإلهية" (Ibn Ashur, 2000 & Dhumairiyyah, 1432).

يرى الباحث أنّ للجانب العقدي كما تناوله ابن عاشور صلةً وثيقةً بعملية البناء في ضوء القرآن الكريم، فقد شرع ببيان قضايا العقيدة ثمّ عرّج على أهميتها البالغة وصدارتها في عملية البناء، حيث تعتبر أساس البناء الإنساني والحضاري كلّه، وذلك أنّ إصلاح تفكير الإنسان وتنقيته من المفاهيم الفاسدة والتصورات المنحرفة مقدم على إصلاح العمل، فإذا صلحت عقيدة الإنسان واستقام تفكيره فإنّ أعماله ستستقيم تلقائيا، لأنه غدا مهيئا للبناء وجاهزا لقبول التعاليم الصالحة، لأن الأعمال إن هي إلا انعكاسات للمعتقدات والأفكار كما سبق بيانه من قبل. كما أشار ابن عاشور إلى كيفية بناء العقيدة من خلال ذكر خصائص المنهج القرآني في عرض العقيدة، وأهمّ الآليات التي يعتمدها لبناء عقيدة الإنسان متمثلة في مخاطبة عقل الإنسان وفطرته.

3. الجانب الروحي:

أولا: أهمية الجانب الروحي:

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

يعتبر ابن عاشور (2000) الجانب الروحي من الجوانب المهمة في عملية بناء الإنسان، ويرى أن تأسيس هذا الجانب أخذ حظا وافرا من الرعاية والاهتمام، فهو يمثل الغاية من خلق الناس والمتمثلة في المحافظة على الصلة بالله عزَّ وجلَّ ومراعاته في جل الشؤون، واستحضار وجوده ودوام الفكر فيه في جميع الأوقات، تلك الصلة بالله عزَّ وجلَّ تبعث في النفس الإشراق وتجعلها عالمة بما يصلح لها وما ينفعها فتصير أكثر إقبالا على فعل الخير وإتيان الصلاح، وهذا لا يتم إلا بتزكية النفس وتطهيرها عن طريق مراقبتها في جميع أحوالها، إذ تعترض النفس عوارض مختلفة تصرفها عن خالقها وعن فعل الخير، وقد قرن الله عزَّ وجلَّ فلاح الإنسان وخسارته بتزكية النفس من عدمها، فقال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس، آية: 9، 10] ، وقال في موضع آخر:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى، آية: 14] (Al-Qurtubi, 1964). وذكر أنّ النفوس قد جبلت على حبّ الخير والإقدام عليه، وفي تزكيتها وتهذيبها زيادة للخير المودع فيها، قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [التين، آية: 4-6] ، (Ibn Ashur, 2000). وفي المقابل فإنّ الله عزَّ وجلَّ نهى عن الإعراض عنه وقطع الصِّلة به، فقال:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر، آية: 19] (Ibn Ashur, 2000).

ولأهمية هذا الجانب فقد أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبتل إلى الله تعالى:﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل، آية: 8] والمقصود به الانقطاع عن كل ما يشغله عن الله عزَّ وجلَّ، بأن لا تخلو أوقاته "عن إقبال على عبادة الله تعالى ومراقبته والانقطاع للدعوة لدين الحق"[5] (Ibn Ashur, 2000).

ثانيا: آليات بناء الجانب الروحي:

إن بناء الصلة بالله عزَّ وجلَّ والحفاظَ عليها قوية ودوامَ مراقبته بتطهير النفس وتهذيبها يحتاج إلى آليات ووسائل تضمن ذلك، فلمّا كان الإنسان لا يرى الله جلّ وعلا فهو معرض لنسيانه، فلذلك وضع المنهج القرآني آليات فعالة إيقاعها على وجهها الصحيح كفيل بتزكية النفس وتطهيرها وتوثيق الصلة بالله تعالى، وتتمثل أساسا في العبادات المشروعة والتي لها خصوصية تزكية النفس كما أنها "لا تخرج عن كونها محققة للمقصد من الخلق"، قال تعالى:﴿وَمَا

[5] يقول الأصفهاني في سياق بيان أهمية الجانب الروحي وأثره على ممارسة الإنسان لدوره الوظيفي: "لا يصلح لخلافة الله، ولا يكمل لعبادته، وعمارة أرضه، إلا من كان طاهر النفس، قد أزيل رجسها ونجسها، فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر، ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، وإياها قصد تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وإنما لم يصلح لخلافة الله إلا من كان طاهر النفس، لأن الخلافة هي الاقتداء به تعالى على الطاقة البشرية في تحري الأفعال الإلهية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل.. ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله، وقال عليه الصلاة والسلام: المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله". (Al-Asfahani, 2007)

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات، آية: 56] ، وفيما يلي عرض لبعض تلك العبادات التي لها أثر قوي وفعال في بناء الجانب الروحي للإنسان (Ibn Ashur, 2000 & Ibn Ashur, 2001):

الصلاة: تعتبر الصلاة من أعظم القواعد الإسلامية بعد شهادة التوحيد، وكانت عماد جميع الأديان، ولأهميتها وعظيم قدرها يلاحظ أن المنهج القرآني قد أكثر من الأمر بإقامتها والمحافظة عليها في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة، آية: 43، 83، 110]، وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ العلّة والغاية من إقامة الصلاة، وهي أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى:﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[العنكبوت، آية: 45] ، فإقامة الصلاة تثمر عند المصلي الصلاح النفساني وتعينه على التقوى والتحلي بمكارم الأخلاق (Ibn Ashur, 2000).

ويذكر ابن عاشور (2000) أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾، لا يقصد منه أنّ الصلاة تصدُّ المصلي عن ارتكاب الفحشاء والمنكر أو تحجبه عنها وتحول دونها، كلا، فالواقع يشهد بخلاف ذلك، فكم من مصل يحافظ على صلاته غير أنه يرتكب الفحشاء والمنكر، وإنما المقصود أنها تعينه على تركهما وتحذِّره منهما، ذلك أن في الصلاة أقوالا وأفعالا من شأنها أن تذكر المصلي بوجوب إتيان ما يرضي الله عزَّ وجلَّ واجتناب ما يجلب سخطه وغضبه، فإذا أقام الإنسان صلاته على أحسن وجه ظهرت عليه آثارها وصلحت بذلك نفسه.

وزيادة على ذلك، فإن أثر الصلاة في الناس متفاوت، فلذلك كانت الصلوات الخمس موزَّعة خلال اليوم بعضها في الليل وبعضها في النهار حتى يكون التذكير متجددا والمواعظ متعاقبة، وبقدر تجدد ذلك التذكير وتلك المواعظ تزداد النفس طهارة ويزيد مستوى التقوى لديها وتنصرف عن المعاصي والمنكرات حتى تصبح التقوى ملكة لها، وقد جاء في الحديث أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ" (Ibn Hanbal, 1999). (Ibn Ashur, 2000).

ومن هنا يتبين الأثر العظيم الذي تتركه الصلاة –سواء المكتوبات أو النوافل– في النفس من تطهير وتزكية وتهذيب، فلذلك كانت من أعظم العبادات التي تخدم البناء الروحي للإنسان.

الصوم: ومن العبادات العظيمة التي شرعها الله عزَّ وجلّ لتهذيب النفس وتزكيتها ورياضتها عبادة الصوم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة، آية: 183]، فقد بيَّنَ الله جلّ وعلا الحكمة من تشريع الصيام بقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أي تتقون المعاصي، ويبين ابن عاشور (2000)كيف أنّ الصيام يقي الإنسان من المعاصي حيث ذكر أنّ المعاصي قسمان، قسم ينفع في تركه التفكُّر والتدبُّر كالخمر والغصب وغيرها وذلك باستحضار الوعد على تركه والوعيد على فعله والاتعاظ

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بأحوال الغير، وأما القسم الثاني فينشأ عن دواع فطرية طبيعية كالأمور التي تنشأ عن القوة الغضبية والقوة الشهوية، وترك هذا النوع بمجرد التفكر –كما في القسم الأول– صعب، فكان الصيام وسيلة لاجتنابها واتقائها، لأنه يهذِّب ويروِّض تلك القوى الطبيعية التي تدفع الإنسان إلى المعاصي، وتسمو به عن وحل المادة إلى عالم الروح الطاهر، ويؤيد هذا المعنى ويؤكده ما ورد في الحديث الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصَّومُ جُنَّة"(Al-Tirmidhi, 1998). يقصد بأنه وقاية، وهو يشمل جميع أنواع الوقاية المرغوبة: والتي منها "الوقاية من الوقوع في المآثم... ووقاية من العلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات" (Ibn Ashur, 2000).

ويزيد ابن عاشور (2000) هذا المعنى وضوحا بقوله: "والغالب على أحوال الأمم في جاهليتها وبخاصة العرب هو الاستكثار من تناول اللذات من المآكل والخمور ولهو النساء والدَّعة، وكلُّ ذلك يوفر القوى الجسمانية والدموية في الأجساد، فتقوى الطبائع الحيوانية التي في الإنسان من القوة الشهوية والقوة الغضبية. وتطغيان على القوة العاقلة، فجاءت الشرائع بشرع الصيام، لأنه يفي بتهذيب تلك القوى، إذ هو يمسك الإنسان عن الاستكثار من مثيرات إفراطها، فتكون نتيجته تعديلها في أوقات معينة هي مظنة الاكتفاء بها إلى أوقات أخرى"[6].

ومن هنا يتبين الدور الفاعل للصيام في بناء الجانب الروحي من خلال تزكية النفس وتهذيبها والارتقاء بها صعدا إلى درجات الكمال.

ذكر الله تعالى: ومن العبادات التي تطهّر النفس وتديم الصلة بالله عزَّ وجلَّ ذكرُ الله تعالى، ولذلك أمر الله عزَّ وجلَّ بالإكثار منه فقال:﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأنفال، آية: 45]، فالإكثار من ذكر الله جلّ وعلا يقي الإنسان ويعصمه من نسيانه تعالى بانغماسه في شؤون الدنيا وملذاتها، غير أنّ الذكر المقصود والمندوب إليه هو الذكر القلبي المتمثل في استحضار مراقبة الله عزَّ وجلَّ مع الذكر القولي أو اللساني الذي هو مثير تلك المراقبة في النفس، وكلا الذكرين خير وحسن، إلا أن الأول أعظم لحصول أثر الذكر في النفس، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب: "أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه"(Ibn Ashur, 2000 & Ibn Ashur, 2001).

وقبل الانتهاء من هذا المطلب تجدر الإشارة إلى مسألتين مهمتين أوردهما الإمام الطاهر بن عاشور، وهما:

أ– أنّ القُرْب من الله عزَّ وجلّ لا يكون بغير العمل والكسب، فلا قرب بنسب ولا أرض ولا أي سبب آخر، كما أنّ الصالحين والمقربين لا يسقط عنهم أداء العبادات مهما بلغت درجاتهم على عكس ما يزعم بعض الصوفية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا". (Ibn Ashur, 2000 & Ibn Ashur, 2001).

[6] وقال في موضع لاحق: "لأن فيه خصلتين عظيمتين؛ هما الاقتصاد في إمداد القوى الحيوانية وتعود الصبر بردها عن دواعيها.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ب– أنّ النيابة في العبادات الواجبة على الأعيان سواء كانت فرضا أم سنة إنما شرعت لغرض ومقصد وهو تزكية نفس الفرد ليكون جزءا صالحا، فإذا قام بالعبادات أحد غيره فلن يتحقق المقصد من مخاطبة أعيان المسلمين بها، وبالتالي فلا تعتبر مجزئة لأن الغرض والمقصد من تشريعها تزكية نفس العامل بها وهو لا يتحقق، يقول ابن عاشور (2000): "فأما ما هو منها من عمل الأبدان فليس للإنسان إلا ما سعى منه ولا يجزئ عنه سعي غيره لأن المقصود من الأمور العينية المطالب بها المرء بنفسه هو ما فيها من تزكية النفس وارتياضها على الخير كما تقدم آنفا. ومثل ذلك الرواتب من النوافل والقربات حتى يصلح الإنسان ويرتاض على مراقبة ربه بقلبه وعمله والخضوع له تعالى ليصلح بصلاح الأفراد صلاح مجموع الأمة والنيابة تفيت هذا المعنى. فما كان من أفعال الخير غير معين بالطلب كالقرب النافلة فإن فيه مقصدين: مقصد ملحق بالمقصد الذي في الأعمال المعينة بالطلب، ومقصد تكثير الخير في جماعة المسلمين بالأعمال والأقوال الصالحة وهذا الاعتبار الثاني لا تفيته النيابة".

فمن خلال ما سبق إيراده يتبين أنّ الجانب الروحي من أهم الجوانب التي يعمل المنهج القرآني على بنائها في الإنسان، وهي تقوم أساسا على تطهير النفس وتزكيتها لتكون أكثر قربا من الله عزَّ وجلَّ ولتكون أكثر إقبالا على فعل الخير والأعمال الصالحة، وذكر ابن عاشور الآليات والوسائل الكفيلة ببناء هذا الجانب والمتمثلة أساسا في مختلف العبادات والتكاليف التي شرعها الله تعالى والتي تتميز بخاصية تزكية النفس. على الرغم من أنّ ابن عاشور ذكر ماهية البناء الروحي وأثره في عملية البناء والتي تتمثل في دفع الإنسان للخير وصرفه عن الشّر، إلا أنّه لم يذكر أثرا آخر مهما جدا وهو أنّ البناء الروحي هو القوة الداخلية التي تدفع الإنسان وتثبته في مهمة الاستخلاف في الوجود، بسبب العلاقة الوطيدة التي يؤسسها بالله عزّ وجلّ.

4. الجانب الأخلاقي

يعتبر البناء الخلقي للإنسان وإصلاحه من أهم الجوانب التي أولاها القرآن رعاية وعناية، وقد ذكر ابن عاشور (2000) أنّ إصلاح الأخلاق وتهذيبها وتتميمها وتطهير السلوك من المقاصد الأصلية للقرآن الكريم. فبناء الأخلاق وتطهير السلوك مقصد من مقاصد القرآن الكريم التي سعى إلى بنائها في الناس، وقد أثنى الله عزَّ وجلَّ على خُلُقِ عبده محمد صلى الله عليه وسلم فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، آية: 4]، وعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم أجابت: "كان خلقه القرآن"، (Muslim, n.d). وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"،(Al-Bukhari, 1989). وقد وعى الذين عايشوا التنزيل من الصحابة وغيرهم من العرب هذا المقصد، وفهموا أنه مراد للقرآن الكريم، وقد تجلى ذلك في التغير الذي شهده المسلمون في أخلاقهم وسلوكياتهم (Ibn Ashur, 2000. Haya, 2011).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أولا: أهمية الجانب الأخلاقي: إن إتمام البناء الأخلاقي وإكماله لدى الأفراد هو أصل الشريعة والرسالة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روي عنه أنه قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ"، (Al-Bukhari, 1989). وأكبر مظهر للكمال الأخلاقي الذي كانت الشريعة تسعى إلى حمل الناس عليه قدر الإمكان هو النبيُّ ذاته صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم، آية: 4]، فقد أثنى الله عزَّ وجلّ عليه حسنَ خُلُقِه، فطباع نفسه صلى الله على وسلم على مستوى رفيع القدر، وهو متمكن من الخلق العظيم الذي هو الأكرم في نوعه والبالغ غاية الكمال، وذلك في خاصَّة نفسه وفي دعوته وتعامله مع الناس، وقد سُألت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت: كَانَ خُلقُه القُرآنُ، (Muslim, n.d) وتعني بذلك أنه ملتزم بما حواه القرآن الكريم من الأمر بفضائل الأخلاق ومكارمها والنهي عن ضدها، وذكر عليُّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه أنّ الخلق العظيم هو أدب القرآن، ويشمل ذلك جميع "ما وصف به القرآن محامد الأخلاق وما وصف به النبيّ صلى الله عليه وسلم من نحو قوله:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران، آية: 159]، وقوله:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف، آية: 199]، وغير ذلك من آيات القرآن" (Ibn Ashur, 2000 & Daraz, n.d). فيتبين أنّ الأخلاق إنما هي انعكاس للتعاليم القرآنية.

ثانيا: الجانب الأخلاقي في الآيات القرآنية: والآيات القرآنية التي تحثُّ على مكارم الأخلاق وتثني على أصحابها كثيرة جدا حيث تربو عن 1500 آية (Daraz, n.d) ، منها ما ورد في سورة الفرقان حول صفات عباد الرحمن وخصالهم كتخلقهم بخلقي التواضع والحلم، قال تعالى:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان، آية: 63]، فمن صفاتهم وأخلاقهم أنهم متواضعون في مشيتهم وهذا ثمرة تواضعهم لله عزَّ وجلّ والتحلي بآداب النفس الراقية، فهم بذلك مخالفون للهيئة التي يمشي بها المتكبرون والمعجبون بأنفسهم وقوتهم، وقد نصح عمر غلاما كان يتبختر في مشيته فقال له: "إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله". وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله سبحانه: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ فاقصد من مشيتك"، وفي هذا حسن معاشرة للناس وتعامل معهم بخلق الرحمة، كما أنهم يعرضون عمن يسيؤون إليهم بالقول، (Ibn Ashur, 2000). ووصفهم بصفات أخرى منها أنهم يتركون الكذب ولا يشهدون الزور فقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان، آية: 72]، (Ibn Ashur, 2000).

ومن ذلك وصايا لقمان المشهورة لابنه بالتحلي بالآداب ومكارم الأخلاق وذلك في تعامله مع الناس حيث نهاه عن احتقارهم والتفخر عليهم، وهذا يستلزم أن يعتبر نفسه واحدا منهم فقال:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان، آية: 18، 19]، كما أرشده إلى الآداب

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

في خاصة نفسه وذلك في حالتي المشي والتكلم "وهما أظهر ما يلوح على المرء من آدابه" فقال:﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان، آية: 18، 19].(Ibn Ashur, 2000)

ومن السور التي أرشدت إلى مكارم الأخلاق سورة الحجرات، وذلك في خمسة جوانب، الجانب الأول: جانب الله تعالى وجانب رسوله حيث قرر الأدب معهما فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[الحجرات، آية: 1](Ibn Ashur, 2000).

الجانب الثاني: في جانب النبي صلى الله عليه وسلم في ذاته حيث قرر حسن المعاملة فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات، آية: 2]، الجانب الثالث: في جانب الفسَّاق حيث بين كيفية تعامل المؤمنين مع الذي يعرف بالخروج عن سبيلهم وذلك بالحذر منه لأن عمله يؤدي إلى الإفساد في الجماعة فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات، آية: 6] وأعقبها بآية ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات، آية:9]، الجانب الرابع: في جانب المؤمن الحاضر، حيث نهى عن بعض المعاملات اللسانية التي لا يقام لها وزن في غالب الأحوال، فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات، آية: 11]، الجانب الخامس: المؤمن الغائب، فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات، آية: 12].(Ibn Ashur, 2000)

وقد عدد ابن عاشور (2000) جماع الخُلق العظيم والتي تعتبر أعلى مراتب الخلق الحسن فيما يلي: "التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة".

ثالثا: آليات بناء الجانب الأخلاقي: ذكر ابن عاشور (2001 & 2000) أنّ الشريعة تسعى إلى إصلاح الضمائر من خلال الحثِّ على اكتساب الأخلاق الحميدة والأمر بالتحلي بالفضائل القلبية، لأنها سبب بلوغ الكمال، وذلك مثل: الإخلاص وحسن النية والإحسان والصبر. وفي المقابل فإنها تنهى عن ضدها من الأمراض القلبية والأدواء النفسية لأنها سبب لاستمرار النقص ودوامه أو زيادته، ولأنها صارفة للإنسان عن تحقيق الكمال وبلوغه، فبلوغ الكمال ينشأ عن استشعار الحاجة إليه في حين أنّ المتلبس بهذه الأدواء لا يستشعر تلك الحاجة بسبب ما غشي عليه من تلك

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الأدواء، مثل: الكبر، والعجب، والغضب، والحقد، والحسد (Al-Qasimi, 1418). ثم بيّن ابن عاشور (2000 & 2001) تلك الأمراض القلبية ومصدرها وأثرها السلبي على الإنسان، وذكر كيفية تخطيها والتخلص منها، فذكر أنّ الحقد يشغل همة المرء عما يفيد ويصرفها إلى الانتقام، والغضب يفسد الفكرة ويتلف المواهب، وقد جاء رجل إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فقال له: أوصني قال: لاَ تغضب، وردد ذلك مرارا (Al-Bukhari, 1987). في حين أنّ الحسد ينشأ بإحساس الإنسان بالعجز عن اللحاق بصاحب النعمة فيرجو زوالها عنه، والدافع لذلك حبُّ استكثار النعمة مع العجز عن ذلك —سواء لتقصيره أو لعدم رضاه بما قسم الله تعالى له-. ويرد ابن عاشور منشأ هاته الأمراض والأدواء النفسية كلها إلى القوتين المركوزتين في الطبيعة البشرية وهما قوة النفس الشهوية والغضبية كلاهما أو إحداهما.

ثم يعرض ابن عاشور (2001 & 2000) كيفية اتقاء هذه الأدواء والتخلص منها، وذلك باستحضار الوعيد المرتب عليها، فيأخذ المرء نفسه بالجد فيحاسبها ويقلل من استجابتها لداوعي هذه الانفعالات والإحساسات النفسية حتى تعتاد على ذلك فتكف عن العمل بما تمليه تلك الانفعالات والإحساسات.

وفي المقابل فقد ذكر ابن عاشور (2001) الفضائل القلبية وأثرها على الأعمال، فإخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ يجعل المرء يقبل على العمل إقبال العامل لنفسه لا لنيل رضا الناس، وعكس الإخلاص الرياء، ويقصد به صاحبه رضا الناس، وهذا لا يُؤَمَّلُ منه خير لأنه إذا خلا عن أعين الناس فإنه سيرتكب الذنوب والمعاصي والموبقات. والدافع لحسن النية حب "الخير العام وإتقان العمل الصالح". والإحسان هو استحضار أن الله عزَّ وجلّ يرى الإنسان في جميع أعماله، فيقيم الفرائض والواجبات وينتهي عن النواهي والمنكرات وكأنه ماثل بين يديه.

ويذكر ابن عاشور (2000 & 2001) أنّ خلق الصبر من أعظم الأخلاق التي توصل الإنسان إلى النجاح والفلاح، لأنّه في سعيه تعترضه الكثير من العوائق والعراقيل كالضعف والفتور والمثبطين، ولا يردها إلا الصبر، ومن أعظم مزايا الصبر أن الله عزَّ وجلَّ جمع فيه معاني التقوى كلها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر، آية: 3]، ولما تخلقت به الأمة الإسلامية في جميع شؤونها كانت مظهرا للنجاح أينما توجهت. ويؤكد ابن عاشور أمرا مهما وهو ضرورة وضع الأخلاق والفضائل موضعها حتى تكون محمودة، مثل ما ورد في وصف المؤمنين في قوله تعالى:﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح، آية: 29].

فمن خلال ما سبق يتبين أنّ بناء الجانب الخلقي وإصلاحه لدى الإنسان هو انعكاس للالتزام بالتعليم القرآنية والإسلامية وهو إحدى الغايات الأصيلة للقرآن الكريم في مشروع بنائه للإنسان، ومن أبرز الآثار والثمرات المترتبة عن إصلاح البناء الخلقي دفع الإنسان نحو مراتب الكمال والغايات الرفيعة وصرفه عن النقائص وسفاسف الأمور التي تعيقه عن بلوغ الكمال، وبناء هذا الجانب يتم عن طريق الحثّ على اكتساب الأخلاق الحميدة والنهي عن ضدها.

5. الجانب العلمي.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ذكر ابن عاشور (2000) أنّ تعليم الإنسان من مقاصد القرآن الأصلية، وذلك بتعليم الناس بما يناسب حالتهم بغرض تأهيلهم إلى فهم الشريعة وتلقيها ونشرها، كما قصد إلى تعليم الحكمة والاستدلال الصحيح من خلال الحثّ على النَّظر وردوده على الضَّالين، وقد أبرز قيمة الحكمة وأهميتها فقال:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة، آية: 269]، ودعا إلى العلم وبين فائدته ومنافعه مرارا وتكرارا وهو أمر غير معهود عند العرب، فقال تعالى:﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت، آية: 43]، وقال:﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر، آية: 9]، ونبَّه إلى فضل الكتابة وأهميتها في قوله تعالى في سورة القلم:﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم، آية: 1].(Haya, 2011)

فالبناء العلمي للإنسان من الجوانب المهمة التي يجب مراعاتها، وفيما يلي عرض لنظرة ابن عاشور للبناء العلمي في ضوء القرآن الكريم:

أولا: أهمية البناء العلمي: لقد حثَّتْ الشريعة الإنسان على اكتساب العلم وذلك للغاية المهمة التي يؤديها، فإن جميع العلوم تسعى إلى تحقيق أحد أمرين، الأول: إصلاح الفكر وتقويمه لئلا يقع في الخطأ حال التأمل والتفكر في شيء ما، فبالعلم يتمكن الإنسان من تمييز الخير من الشرّ والخبيث من الطيّب، الثاني: إصلاح العمل لاجتناب الأخطاء والزلات التي قد تعرض للعامل أثناء عمله، فهو مرشد إلى الفضائل وقائد إليها وعاصم للإنسان من النقائص، فمن هنا يتبين أنّ في الحث على اكتساب العلم الصحيح دعوةً إلى إصلاح كلٍّ من الفكر والعمل، ولهذا شُبه العلم بالنور في الإضاءة بين يدي من يسير في الظلمات، قال –تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [التحريم، آية: 8] (Ibn Ashur, 2001 & Ibn Ashur, 2000).

وزيادةً على ذلك، فإنّ الإنسان لن يتمكّن من ممارسة الخلافة إلا بالعلم، فبالعلم نال النوع البشري أهلية الخلافة في الأرض، قال ابن عاشور (2000): "وقد جعل الله تعالى علم آدم بالأسماء وعجز الملائكة عن ذلك علامة على أهلية النوع البشري لخلافته في الأرض دون الملائكة... ولا شك أن هذه الخلافة لا تتقوم إلا بالعلم أعني اكتساب المجهول من المعلوم وتحقيق المناسبة بين الأشياء ومواقعها ومقارناتها وهو العلم الاكتسابي الذي يدرك به الإنسان الخير والشر ويستطيع به فعل الخير وفعل الشر كل في موضعه.. ولا يصلح لهذا العلم إلا القوة الناطقة وهي قوة التفكير التي أجلى مظاهرها معرفة أسماء الأشياء وأسماء خصائصها والتي تستطيع أن تصدر الأضداد من الأفعال لأن تلك القوة هي التي لا تنحصر متعلقاتها ولا تقف معلوماتها كما شوهد من أحوال النوع الإنساني منذ النشأة إلى الآن وإلى ما شاء الله تعالى" (Malkawi, 2011).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحثُّ على اكتساب العلم وتبرز فضائله وتعلي من شأنه، كما في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر، آية: 9]. ويذكر ابن عاشور(2001) أنّ العلوم كثيرة ومتنوعة، غير أنّ التي ندب القرآن إلى تعلمها ودعا إلى اكتسابها هي العلوم الصحيحة النافعة، وهي التي تثمر العمل الصالح النافع، وتقود الإنسان إلى خيري الدنيا والآخرة، قال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر، آية: 28].

ثانيا: آليات بناء الجانب العلمي: يشير ابن عاشور إلى أنّ المنهج القرآني حرص حرصا شديدا على نشر العلم وبثّه بين عموم الأمة، ومظاهر ذلك كثيرة، منها:

أ- سعي المنهج القرآني إلى تعميم التعليم بين المسلمين وإلحاقهم بمصاف علماء بني إسرائيل بما كان يقصُّه عليهم من أخبار الأمم السابقة وأحوالهم، وغيرها من مسائل العلم، وقد كان العلم في ذلك الوقت يتمثل في معرفة أحوال التشريع وأخبار الأنبياء والأمم السابقة، وأحوال العالم العلوية والسفلية والوصايات الأدبية والمواعظ الأخلاقية، فقد امتاز علماء بني إسرائيل بعلوم لم تكن معلومة لسواهم من عوام اليهود وعموم العرب، ولذلك سبقوا العرب في الفكرة المدنية وكانت العرب تتخذهم مرجعا في شؤونها، فلما عرض القرآن الكريم جميع هذه القضايا على المسلمين وتعلَّموها صاروا في مثل مرتبة أحبار اليهود وخاصتهم بل وفاقوهم في ذلك لتميزهم في العلوم اللسانية ونباهتهم وفطنتهم، وفي هذا تعميم واضح للتعليم وترقية للمسلمين، كما أشار ابن عاشور(2000) إلى فائدة مهمة وهي أنّ في ذكر القصص وأحوال الأمم السابقة تعليماً اصطلاحياً بجانب ما كان يقصده من العبرة والموعظة، قال تعالى:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود، آية: 49].

ب- النهي عن كتمان العلم الذي فيه هدى وإرشاد للناس، لأنّ العلم الصحيح صمَّام أمان العقول وصارف للأوهام والتصورات الفاسدة والمعتقدات الباطلة، وقد ورد النَّهي عن ذلك في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة، آية: 159]، لأنه بحرمان النَّاس من ذلك الهدى فإنهم سيقعون لا محالة في الضلالة، والنهي عن كتمان العلم يشمل ما كان من طريق الوحي كالقرآن والسنة الصحيحة، وما توصل إليه العالم عن طريق النظر كاجتهاداته إذا غلب على ظنه بأنّ فيها نفعا ومصلحة للمسلمين، كما يحرم عليه أنّ ينشر بين المسلمين علما غير صحيح فيوقعهم في أوهام وأغلاط، وقد جاء في الحديث: "حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (Ibn Ashur, 2000).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وتناول ابن عاشور بشيء من التفصيل آية من سورة التوبة وذكر أنها من أعظم الآيات التي فيها رفع شأن العلم وهي قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة، آية: 122]، فقد ورد فيها دعوة من الله عزَّ وجلَّ للمسلمين إلى توجيه طوائف منهم للاهتمام بالدين والتفقه فيه، "فالدين هو جامع إصلاح النفوس والأخلاق والأعمال، والداعي إلى الإقبال على إصلاح هذا العالم"، فإذا اشتغل به الناس فإن آثاره ستظهر في نفوسهم، وقد ندب لهذا طوائف فقط حيث إنه لا يصلح أن يذهب الجميع للتفقه في الدين لما يترتب عليه من تعطل شؤون الناس وأمورهم، وزيادة على ذلك، فليس كلّ الناس مؤهلا للتفقه في الدين.

وفي الآية بيان الغرض من خروجهم لطلب العلم وهو التفقه في الدين وتفهم معانيه والكشف عن مقاصده، بحيث يستطاع العمل بالدين على نحو منزّه عن الزلل والتقصير، وفي الحديث عن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" (Al-Tirmidhi, 1998)، (Ibn Ashur, 2000 & Ibn Ashur, 2001).

ثم بيّن الله عزَّ وجلَّ كيفية تلقي الدّين وتحصيله للفريقين بقوله:﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة، آية: 122]، فالمتفقهون هم الذين يتلقون الدين ثم يبلغونه لعموم الناس، والغاية من هذا التعلم هو عدم الوقوع فيما يخالف الدين. وفي الآية إشارة إلى مقدار الدين اللازم تعلُّمه على كل فريق. فيجب على فريق المتفقهين الذين ينفرون للتفقه في الدين أن يحيطوا بمعظم مسائل الدين وقضاياه، لأنهم مرجع للناس يرجعون إليهم للاستفسار عن نوازلهم وشؤونهم، فيلزمهم أن يزودوهم بالإجابات الشافية الكافية. وأما الفريق الثاني الذين هم عموم الأمة، فيلزمهم نوعان من العلم، وهما: نوع يجب أن يعلمه كل أحد وهو ما لا يتحقق مقصد الدين إلا به كأصل الإيمان والصلاة، ونوع لا يجب أن يعلمه إلا من دعته الحاجة إليه بحيث تلبس بالفعل فيلزمه حينئذ الرجوع إلى الفريق الأول وهم المتفقهون (Ibn Ashur, 2000 & Ibn Ashur, 2001).

ويضيف ابن عاشور (2001) أنّ طلب العلم قد يكون واجبا على الكفاية، وذلك بالقدر الذي يحصل معه إقامة الشريعة والحفاظ على مصالح الأمة، كما أنّ تحديد العلوم والمعارف التي تحتاج إليها الأمة يرجع بالأساس إلى العلماء الذين ينشرون تلك العلوم وولاة الأمور المحيطين بما به قوام مصالح الأمة. وأما بالنسبة للطلبة الذين يشتغلون بتلك العلوم فهم الذين يبادرون إلى طلبها بحسب رغباتهم وإراداتهم، أو يعينهم أهل العلم والخبرة بناء على ما يتوسمونه فيهم.

ويذكر ابن عاشور (2001) أنّ المقدار اللازم من العلم منه ما لا يتغير بتغير الزمان والحال، كعلم الشرع وسبل إقامته على الطريقة المثلى، ومنه ما يتغير بتغيرهما "وهو ما زاد على ذلك من العلوم الزمنية"، ويندرج فيما تحتاج إليه

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الأمة للحفاظ على مصالحها. وكثرة العلماء ووفرتهم يجعل الأمة في مصاف الأمم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ" (A l-Bukhari, 1987).

فمن خلال ما سبق تتبين لنا نظرة ابن عاشور إلى البناء العلمي والمعرفي في ضوء القرآن الكريم، فهو يرى أنّ اكتساب العلم مهمٌّ جدا في بناء الفرد وإصلاحه، فهو الأساس الذي لأجله استحقّ الإنسان الخلافة، وذلك للأثر العظيم الذي يتركه في الإنسان سواء على مستوى التفكير أو العمل، كما أشار إلى قضية مهمة جدّا، حيث بيّن الأثر المباشر للبناء العلمي على مهمة الإنسان في هذا الوجود، وذلك أنّ هذا الجانب يؤهل الإنسان إلى ممارسة دوره عن طريق إيقافه على السنن الكونية وفهم الظواهر من حوله، وهذا ما جعل المنهج القرآني حريصا كل الحرص على بث العلم الصحيح ونشره بين أفراد الأمة الإسلامية من خلال إبراز فضائله والحثّ على نشره والنهي عن كتمانه، وقد بيّن ابن عاشور في ضوء القرآن الكريم ما هو العلم اللازم تحصيله وما حكمه والغاية من تحصيله وأنواع المتعلمين والمقدار الواجب تحصيله على كلّ نوع، ومن الذي له صلاحية تحديد العلوم الواجب تحصيلها. على الرغم من ذلك، فقد أغفل ابن عاشور بعض الآليات المهمة التي يعتمدها المنهج القرآني في بناء هذا الجانب مثل الحضِّ على اكتساب العلم من خلال القراءتين: القراءة في كتاب الله تعالى المسطور والمنظور، والدعوة إلى استعمال أدوات الإدراك وتفعيلها.

من خلال ما سبق عرضه في هذا البحث، يتبين لنا أنّ نظرة ابن عاشور لجوانب البناء الإنساني في ضوء المنهج القرآني في مجملها متكاملة ومتناسقة، حيث إنها شملت أهم جوانب البناء الإنساني والمتمثلة في: العقدي، والروحي، والخلقي، والعلمي، وبين أهمية كل جانب، كما فعل في الجانب العقدي حيث ذكر أنه أساس البناء الإنساني والحضاري، لأنّ إصلاح تفكير الإنسان ينتج عنه صلاح أعماله تلقائيا لأنه أصبح مهيئا للبناء وجاهزا لقبول التعاليم الصالحة، فلذلك وجب الشروع به.

إلا أنّ ابن عاشور رحمه الله تعالى أغفل جانبا مهما وهو البناء الجسدي والبدني الذي هو الآلة التي يمارس بها الإنسان مهمته في هذا الوجود، والذي نال قسطا لا بأس به من الرعاية والاهتمام في ضوء القرآن الكريم، وإضافة إلى ذلك، فقد تطرق –في الغالب– إلى الآليات والوسائل الكفيلة ببناء جوانب الإنسان (انظر: مخطط توضيحي لجوانب البناء القرآني للإنسان في تفسير التحرير والتنوير).

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

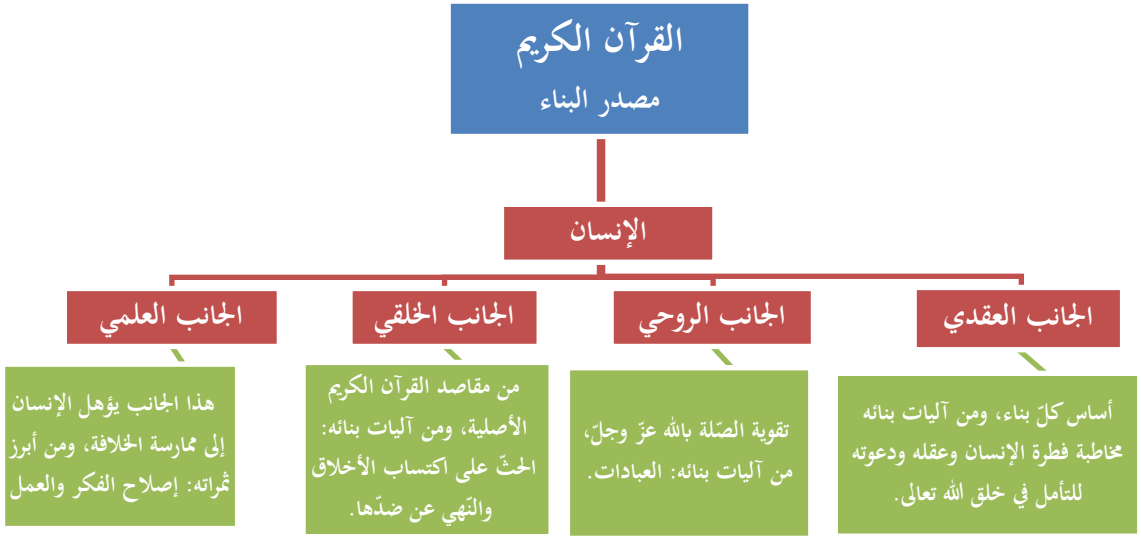

مخطط توضيحي لجوانب البناء القرآني للإنسان في تفسير التحرير والتنوير

6. الخاتمة

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن جوانب البناء القرآني للإنسان في تفسير "**التحرير والتنوير**" تتمثل فيما يلي:

أ. أنّ عملية بناء الإنسان في القرآن تتجلى في أربعة جوانب: العقدي، والروحي، والأخلاقي، والعلمي، ولكل جانب آليات تبنيه وتؤسسه.

ب. أنّ الجانب العقدي هو أهم جوانب البناء الإنساني والحضاري، إذ هو منطلق عملية البناء، وهو يُعنى بتصحيح التصورات والمفاهيم المتعلقة بقضايا الألوهية والربوبية وغيرها من القضايا الوجودية الأخرى، فصلاح الجانب العقدي هو أصل كلّ صلاحٍ وفسادُه أصل كلّ فساد.

ج. أنّ الجانب الروحي يسعى إلى توثيق الصلة بالله عزَّ وجلَّ واستحضاره في جميع الأوقات والشؤون، ولهذا أثرٌ كبيرٌ في طهارة النفس الإنسانية وإقبالها على الخير وابتعادها عن الشر.

د. أنّ الجانب الخلقي هو انعكاس للالتزام بالتعاليم القرآنية والإسلامية، ومن أبرز آثاره دفع الإنسان نحو مراتب الكمال والغايات الرفيعة وصرفه عن النقائص وسفاسف الأمور التي تعيقه عن بلوغ الكمال.

هـ. أنّ الجانب العلمي مهم جدا في عملية البناء الإنساني، لما له من أثرٍ عظيم في إصلاح فكر الإنسان وعمله وحمايته من الخطأ والضلال، كما أنّه المقوم الذي استحق به الإنسان الخلافة في الأرض.

و. أن بين هذه الجوانب تكاملا وترابطا مع تفاوت في الأهمية والأولوية في البناء.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ز. أنّ ابن عاشور رحمه الله تعالى لم يذكر جانبا مهما وهو البناء الجسدي والبدني والذي يعتبر الآلة التي يمارس بها الإنسان مهمته في هذا الوجود، وقد نال البناء الجسدي والبدني قسطا لا بأس به من الرعاية والاهتمام في ضوء القرآن الكريم.

التوصيات:

يوصي الباحث في نهاية هذه الدراسة بما يلي:

أ. القيام بدراسات تتناول بعمق وتفصيل منهج القرآن الكريم في بناء كلّ جانب من جوانب البناء الإنساني عند ابن عاشور من خلال جميع كتبه، فقد كان صاحب نظرة متميزة.

ب. مراعاة جوانب بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم عند صياغة البرامج التربوية والتكوينية التي توضع لشتى الفئات.

ج. كتابة دراسات حول جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته من خلال كتب التفسير وبالخصوص المعاصرة.

د. القيام بدراسات مقارنة بين منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان والمناهج الأخرى.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Al-Asfahani, Al-Raghib (2007). *Al-dharia ila makarim al-sharia*. Al-Qahira, Dar al-Salam.

[2] Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (1987). *Sahih al-Bukhari*. Al-Yamama- Beirut, Dar ibn Kathir.

[3] Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (1989). *Al-Adab Al-Mufrad*. Beirut, Dar Al-Bashair Al-Islamiyyah.

[4] Al-Njjar, 'Abd Al-Majid (1995). *Dawr al-Islah al-Akadi fi al-Nahdha al-Islamiyyah*. Majalat Islamiyyat al-Marifah.

[5] Al-Qasimi, Jamal al-Din (1418). *Mahasin al-Tawil*. Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

[6] Al-Qurtubi, Abou Abdullah (1964). *Al-Jami' li Ahkam al-Quran*. Al-Qahirah, Dar al-Kutub al-Misriyyah.

[7] Al-Tirmidhi, Muhammad Bin Issa (1998). *Sunan al-Tirmidhi*. Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.

[8] Daraz, Abdullah (n.d). *Dustour Al-Akhlaq fi al-Quran al-Karim*. Beirut, Muassasah ar-Risalah.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 15, No. 1, (2019), pp. 87-107
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[9] Dhumairiyyah, Uthman (1432). *Al-Akidah al-Islamiyyah fi al-Quran al-Karim al-Manhaj wa al-Arkan wa al-Khasais.* _____, Silsilat Dawat Al-Haq.

[10] Haya, Thamir (2011). *Maqasid al-Quran Al-Karim inda al-Shikh Ibn Ashur.* Jamiat Qatar, Majalat Kulliyyat al-Shariah wa al-Dirasat Al-Islamiyyah.

[11] Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (2000). *al-Tahrir wa'l-Tanwir*. Beirut, muassasah al-Tarikh al-Arabi.

[12] Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (2001). *Usul al-Nidham al-ijtimai.* Al-Urdun, Dar al-Nafais.

[13] Ibn Hanbal, Ahmad (1999). *Musnad al-imam Ahmad bin Hanbal*. Beirut, Muassasah ar-Risalah.

[14] Madkour, Abdul Hamid (2003). *Tamhid li Dirasat Ilm Al-Kalam.* Beirut, Dar Al-Hani li al-Tiba'h wa al-Tawzi'.

[15] Malkawi, Fathi Hacan (2011). *al-Shikh Muhammad al-Tahar Ibn Ashur wa Qadhaya al-Islah wa al-Tajdid fi al-Fikr al-Islami al-Mu'asir.* Al-Wilayat al-Muttahidah al-Amrikiyyah, al-Ma'had al-'Alami li al-Fikr al-Islami.

[16] Muhammad Nusair (1989). *Insaniyyat al-Insan fi al-Islam.* Al-Qahirah, Dar al-Shurouq.

[17] Muslim bin Al-Hajjaj, Abou Al-Hussein (n.d). *Sahih Muslim.* Beirut, Dar Ihyaa al-Turath Al-Arabi.

[18] Qutub, Sayyid (1964). *Fi Dhilal al-Quran.* Al-Qahirah, Dar al-Shurouq.